

حين تنشطر ذواتنا في زمن التيه و الخوف و العدمية، عندما تقذف بنا المعرفة إلى سواحل العقل و متاهاته المرعبة، بعدها تتقد عقولنا، و تنتشي قلوبنا، و تبدأ أقلامنا في مصارعة الزمن و اللغة و الفلسفة، هنالك تدشن زمننا آخر؛ غير هذا الزمن: إنه كوني يقهر النص و يبوح بدكتاتوريته، و يعلن التأويل ملكا على عرش العقل.

إذا كان عليّ - كرم الله وجهه- قد دشّن زمن التأويل بمقولته الشهيرة "ذلك القرآن الصامت و أنا القرآن الناطق" ، فإنّ ممارسة التأويل صارت مهمة مشروعة، بل ضرورة حضارية بحقّ و بؤرة جديدة للانعطاف *Détour* عن السائد و المكشوف.

فما غايتها؟ هل التأويلية علم يزعم فهم المؤلف أفضل ممّا يفهم ذاته؟

ليس بالضبط، هي متابعة هذا النشاط الداخلي و الخارج نصيّ عبر علاماته المنتظمة في عالمه و قدرته على تشكيل فضاء رحب للذات، الذات أيّما كانت ! هكذا هي تتيح فهم النصّ و إدراكه، و تفسيره ثم الوصول إلى ما يمكن أن نسمّيه معناه المحايث.

في ظلّ هذه النظرة تصبح الفلسفة في حضرة التأويل "خطابا منته في اللغة"، تبدأ من الذكاء البلاغي(اللغوي) و مساءلة الممكن، و تبقى تصارع المتن إلى ما لا نهاية !

لذلك فهي تقطع مسافات خيالية، ككائن خرافي، من الفكر الهرمسي و الغنوصي إلى النصوص المقدّسة، تتعدّد المتون و الأطروحات، لكن يبقى هدفها و مرامها واحد هو: رآب الشروخ و الإطاحة بالأوهام التي أفرزتها حديّة الفلسفة *Maximalité de Philosophie*.

هكذا يتحوّل "التأويل" استراتيجية ذكيّة في قراءة ماضي الذات لاستعادتها بعد الضياع، و أيضا استشرافا للمستقبل البعيد. هو على هذا السبيل عند عابر الثقافات و عابر الزمن العربي دون منازع، هو هكذا: "أدونيس".



يمنحك "أدونيس" فرصة مثالية، لتتصوي معه في حواراته الأبدية، و يرميك في منعطفاته التأويلية و مواقفه المتعددة و النادرة، لتتوحد كلها عند "هرمنوطيقا الذات". يرمم المعنى و يجمعه، و يؤهل التاريخ العربيّ أجمع لصياغة ذاته من جديد.

يضعك "أدونيس" في الهوة المرعبة حيث الأسئلة المصيرية و الشائكة و الحواجز العتيقة و الأسوار العربية العالية، لذلك فهو يقودك إلى تغيير أطروحاتك، و ذلك عبر استراتيجية تنفذ إلى أعماق الباطن و المخفي: هي استراتيجية التأويل، فيتولد الجدل و تبدأ في البحث عن هذه الإستراتيجية: كيف تتأطر و تتكامل و تنسجم لتصبح جسدا واحدا يسهر على معنى قطبي واحد؟ و ما الذي يغذيها؟ و كيف تمارس في المتن؟

يحاول هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة و غيرها عبر خطة مؤلفة من **مدخل**

و **ثلاثة فصول و خاتمة**.

في **المدخل**: **عتبات التأويل**

نتعرض فيه: لإشكالية التأويل L'interprétation و التفسير L'explication في الثقافتين العربية و الغربية، ثم نتطرق لمفهوم الإستراتيجية و أبعادها، و نبدأ بالعتبة الأولى و هي "الفهم"؛ و نعالجها حسب وجهتين:

الأولى ألمانية: و نتطرق لـ:

- ✓ إدموند هوسرل (1859-1938): فينومينولوجيا الفهم.
- ✓ مارتن هيدجر (1889-1976): ظاهراتية الأنطولوجيا و الاكتشاف الهيدغري للبنية المسبقة للفهم.
- ✓ هانز جورج غادامير (1900-2002): نحو تاريخية الفهم "خطاب الحقيقة و المنهج".

الثانية أمريكية: فسنتطرق إلى:

- ✓ إرك دونالد هيرش: الفهم الصامت.



ثمّ نتناول العتبة الثانية؛ و هي: آلية الإدراك، و تليها العتبة الثالثة؛ و هي: آلية التفسير، و ثمّ الرابعة؛ و هي: آلية التّأويل، و في نهاية العتبات الأربع نخلص إلى محصلة العتبات؛ و هي الحلقة الهرمينوطيقية Le Cercle Herméneutique .

الفصل الأول: 'تأصيل الهرمينوطيقا في الثقافة الغربيّة و العربيّة':

و سنتناول فيه: جنيالوجيا المصطلح Herméneutique و نعالجه من ناحية اللّغة: فننظرّق لهرمس و متاهات التّأويل، و الغنوصية و مواجهة النّصوص.

أمّا المصطلح في علم العقائد Théologie فنؤسس نظرتنا على فيلون الإسكندري Philon D'Alexandrie و جهده في العهد القديم.

كما نتناول في هذا الفصل "معضلة تأويل النّصوص الدينية" علما أننا لن نقصي أي كتاب من الكتب السّماوية، و نعالجها معالجة موضوعية بعيدة كلّ البعد عن النزعات الفردية عقائدية كانت أو طائفية.

الفصل الثّاني: نحو أورغانون منهجي إبستيمولوجي جديد في قراءة الثقافة العربيّة

"أدونيس عود على بدء"؛ نقوم فيه بمساءلة المتن الأدونيسي لنقف على تضاريسه، حيث سنتناول "كلافيس التّأويل الأدونيسي"، و ننظرّق فيه للمبادئ و القوانين التي تحكم التّأويل، و هي:

1- مبدأ الانتقاء 2- مبدأ الحوار مع الأصل 3- مبدأ الانحياز.

ثمّ ننقل لمقاربة الآليات المعرفية و استراتيجيات التّأويل القائمة في المتون النقدية لأدونيس، و فيها نرصد الأفق المسيطرة على التّأويل ضمن إطار واسع هو "أنطولوجيا الفهم و جوانية الانتظار"، حيث نهج منهج إدموند هوسرل في قراءته لوعي الأفق.

الفصل الثالث: لعبة التأويل الأدونيسي و محنة الأسئلة "التاريخ و العالم و

الحقيقة":

و فيه نستعمل مفهوم الإزاحة لمحمد شوقي الزين، و هي عملية فكرية حيوية هامة تهدف لاختراق طبقات الثقافة و التاريخ. و هنا سنفعل هذا المفهوم مع فلسفة "ولهلم دلتاي" Wi delthey للحياة، فنجد أنّ النظرية التأويلية الأدونيسية قد تتمظهر في المقولات الأساسية التي صاغها دلتاي:

- 1- مقولة الزمانية. 2- التطور. 3- الداخلي و الخارجي. 4- المعنى. 5- الهدف. 6- القوة. 7- القيمة.

لكن استراتيجية أدونيس في بناء تأويل للثقافة العربية جمعاء، لا تقتصر عند حدود بعينها، بل هي تخوض في مختلف الأسئلة، لذلك تتجلى لنا "حركية التأويل و المسافة الاستلابية" في قضية "الخلافة /الإمامة" و ما بعدها.

ينتهي الفصل الثالث باستراتيجية أخيرة هي "العزم على التأويل"، فيها نتناول أقسام الخطابات، و نقف عند كل خطاب على حدة مع بيان ضجة التأويل فيه.

لعلّ الموضوع الذي فضلنا الخوض في غماره يثير حساسية في المشغل الثقافي العربي، من هنا سنكون شديدي الحرص على ألاّ نجعل للذات على الحقيقة سبيلا، و الحقيقة طريقها صعب؛ لذلك كان اختيار منهج الدراسة من أولويات البحث، و كانت النظرية التأويلية - التي نحن بصدد التأسيس لها - ثمّ تحويلها منهاجاً أو إستراتيجية كفيلة بتحليل المتون، أساسية أيضاً.

هكذا كان التأسيس للتأويلية مهمتنا الأولى ثمّ استعمالها منهاجاً للدراسة هدفاً مركزياً بالنسبة لنا.

لكن ممارسة نقد النقد تطرح عدداً من المشكلات؛ أهمها التباين الحاصل بين الناقد الأدبيّ و ناقد النقد، هذا الاختلاف الذي سيحوّل عمل ناقد النقد إلى محاكمة لناقد الأدب و

تعقّب واضح لعثراته. وعينا بهذه المشكلة جعلنا نطلب الموضوعية في كل حين، و نتحرّى الحقيقة بعيدا عن كل تحزّب و تعصّب.

ليست هذه العقبة الوحيدة التي اعترضت الدراسة، بل كثيرا ما توقّفنا لإعادة النظر في كثير من المسلّمات، حتّى دفعنا هذا الإحساس إلى التفكير مليّا في صحة المسار الذي نسلكه، و حسبنا أنّنا اجتهدنا و بذلنا أقصى ما في وسعنا ليصل البحث إلى قرّائه بأحسن رؤية و بأفضل شكل و الله الموقّق.

